**المحاضرة الثانية: اللسانيات العربية: النشأة والتطور**

كما هو معلوم، أن الدراسات اللغوية العربية، والغربية أو البحث اللغوي القديم عربيه وغربيه لها أسباب وأهداف خاصة، وعلى رأي أحمد مختار عمر، "البحث اللغوي عند العرب": أن كل دراسة لغوية في كل عصر، كأن لها هدف معين، فالدراسات القديمة كانت في معظمها لغرض ديني، فهي عند الهنود المحافظة على لغة دينهم، وعلى كتابهم المقدس (ريق فيدا) خاصة المعجمية منها لأنهم لا يسمحون بالأخطاء في لغتهم"، وكذلك عند الإغريق للمحافظة على نتاجهم الأدبي، الإلياذة والأوديسة، وغيرهم من الشعوب، ويمكن ملاحظة ذلك بوضوح في الدراسات العربية القديمة، حيث كان الهدف الأساسي منها هي الأخرى المحافظة على القرآن الكريم بالدرجة الأولى. وفهمه ثم المحافظة على لغته، والدراسات الغربية الحديثة هي الأخرى لها غاية محددة حيث جاء في محاضرات دي سوسير أن الهدف من اللسانيات هو معرفة الألسنية من حيث هي ظاهرة بشرية عامة، واكتشاف القوانين الضمنية التي تحكم الظاهرة اللغوية وضبط سماتها الصوتية و التركيبية و الدلالية للوصول إلى قوانين كلية اللغة وشرح خصائص العملية الكلامية وتفسير العوائق العضوية والنفسية والاجتماعية المعرقلة لأدائها وبناء نظرية لسانية لها صفة العموم، إذ يمكن على أساسها دراسة جميع اللغات والتأريخ لها، بسرد تاريخ الأسرة اللغوية وإعادة بناء اللغات الأم في كل منها ما أمكنها ذلك."ومزال البحث متواصلا لتحقيق هذه الغاية.

ولما كانت كل الدراسات لها غاية محددة وتتخذ موضوعا معينا فإن من شأن كل الدراسات اللغوية العربية الحديثة، أن تكون هي الأخرى غاية وموضوع محدد. لكن ليس من السهل تحديد هدف وغاية الدراسات اللغوية الغربية الحديثة لأن هذه الأخيرة أثارت الكثير من التساؤلات وخضعت للكثير من الدراسات التي أدت في النهاية إلى ترتيبها وتصنيفها في اتجاهات مختلفة.

وهذه التصنيفات يمكن القول عنها أنها تتشابه لأنها نتيجة لمقولات قدمتها الدراسات العربية نفسها وهذه المقولات حكمت الدرس اللساني العربي الحديث، وهي مرتبطة بسعي اللسانيات العربية إلى تسويغ مشروعية وجودها في الثقافة العربية، وذلك من خلال:

-القول بعدم كفاية النموذج التقليدي.

-القول بضرورة تبني المنهج الوصفي في الدراسات اللسانية.

- القول بحاجة العربية إلى إعادة الوصف من خلال النظرية اللسانية الغربية الحديثة.

وقد تمخض كل هذه المقولات مواقف فكرية متباينة في تصورها لطبيعية العمل اللساني العربي وهدفه، وهي:

1. موقف الثورة على كل المواريث
2. موقف الجمود عند التراث
3. موقف حاول التوفيق وتوصيل الماضي بالحاضر

ومن زاوية هذا النظر صنف الباحثون العرب المحدثون الكتابات اللسانية العربية كبديل ويقدم تعاريف بمناهجها ومؤلفاتها ويطلق على هذا النوع من المؤلفات "الكتابات التمهيدية"

-موقف التراث: يتبنى أراء التراث العربي ويعيد قراءته قراءة ثانية ويصطلح على هذا النوع "اللسانيات التراثية".

- وأما موقف التوفيق فيحاول دراسة اللغة العربية من خلال تطبيق نماذج حديثة ويطلق على هذا النوع من المؤلفات "اللسانيات العربية".

وهذا لأن منطلقهم من التراث العربي ويتم هذا من منظور مناهج ونظريات حديثة، كما يحاولون تطبيق المناهج الغربية الحديثة على نماذج عربية.

- **اللسانيات العربية:**مصطلح مركب من مصطلح رائج على بساط البحث والدراسات اللغوية الحديثة وتختلف مدلولاته من باحث إلى أخر لاختلاف المنطلقات المعرفية والفكرية.

وتوضيحا لذلك فاللسانيات كمصطلح حديث النشأة يعني الدراسة العلمية والموضوعية للغة الطبيعية وهو علم غربي حديث مؤسسه دو سوسير(دراسة اللغة لذاتها وبذاتها).

وبإضافة هذا المصطلح إلى كلمة (العربية) يكون المقصود منه الدراسة العلمية للغة الطبيعة والعربية هي واحدة منها.

يطلق مصطلح اللسانيات العربية الحديثة على الكتابات العربية الحديثة المختلفة (الكتابات التمهيدية، الكتابات التراثية، والكتابات التوفيقية، أو المتخصصة عند البعض).

لكن السؤال الذي يفرض نفسه هنا هو:

هل هذه الكتابات العربية ترقى إلى مستوى الدرس اللساني؟

أم أنها مجرد نقول لما ورد في اللسانيات الغربية الحديثة أم أنه إحياء للتراث العربي ومحاولة المقارنة بين تراثنا العربي والدراسات الغربية والإجابة عن تلك التساؤلات تقول:

لجوء أغلب العلماء والباحثين العرب إلى تسمية تلك الكتابات محاولات أو كتابات أو قراءات أو مقدمات...

وكان إطلاق عليها مصطلح لسانيات عربية في مؤلفات محدودة، وكان المقصود منها نقد الأسس النظرية التي قامت عليها هذه الكتابات لإثبات أنها لم تصل إلى مستوى التنظير باستثناء بعض المحاولات، وعلى حدّ عبارة زكي نجيب محمود "ترانا أحد رجلين إما ناقل لفكر غربي، وإما ناشر لفكر عربي قديم فلا انتقل في الحالة الأولى ولا النشر في الحالة الثانية يصنع مفكرا عربيا أصيلا إنما يجب أن نستوحي التخلف الجديد سواء عبرنا المكان لننقل عن الغرب أم عبرنا الزمان لننشر عن العرب الأقدمين".

وفي المقابل هناك من يرى أن اللسانيات العربية تطلق على كل الجهود العربية التراثية لأنها تتوافق في أمور كثيرة موجودة في الدراسات اللسانية الغربية الحديثة.

نشأ الدرس العربي الحديث نشأة عربية أصيلة ضابطها البيئة التي نشأ فيها الفكر العربي الحديث الذي عرف بداءة بعصر النهضة العربية أوائل القرن العاشر الميلادي الذي تميز بالحكم المستدمر الغربي الأوربي الذي ساد البلاد العربية في مغربها ومشرقها.

تميز عصر النهضة العربية في أوائل القرن (19) ميلادي بالحكم المستدمر الأوروبي، الذي شهد قيام مشاريع إصلاحية كبرى على جميع المستويات كما فرض عليه إعادة النظر في أوضاع هذا الفكر لمواكبة التطور الحاصل في الغرب، أسهم في إحياء كثير من الكتب التراثية العربية، وقد صاحب ذلك تغيير في تصور قضايا الأدب العربي ومناهج دراسته، استضافة الجامعة لكثير من المستشرقين، تأخر ظهوره على الرغم من لإنشاء قسم اللغة العربية وآدابها، منذ تأسيس كلية الآداب بالجامعة المصرية في بداية القرن 20.

ولم تعرف الدراسة اللغوية العربية من نحو وصرف وبلاغة ولغة أي تغيير نظري أو منهجي

وقد كانت اللغة العربية تدرس بكلية الآداب طبقا لما كان عليه الأمر في معاهد أخرى كالأزهر ودار العلوم التي كان خير معهد يدرس اللغة العربية دراسة نظرية وتطبيقية في حدود ما انتهى إليه اجتهاد الأوائل.

يضم قسم اللغة العربية جهابذة من الأساتذة منهم طه حسين، أحمد أمين، إبراهيم مصطفى، عبد الوهاب عزام، أمين الخولي، أحمد الشايب وطه إبراهيم...

و يغلب على هؤلاء الأساتذة التكوين الأدبي التكوين الأدبي وقد انحصر اهتمام اللغويين منهم في حدود نقدهم لأصول النحو العربي العامة، وقواعده ومنهج النحاة والبلاغة العربية القديمة في قواعدها وقوالبها البيانية.

يتبين مما سبق ذكره أن قسم اللغة العربية بكلية الآداب يخلو من المدرسين والأساتذة العرب في الدراسات اللغوية بمفهومها الحديث ويضاف إلى أولئك الأساتذة العرب الأوائل رواد الثقافة العربية الحديثة قائمة من الأساتذة من المستشرقين الذين يهتمون بالدرس اللغوي العربي، الذين استقدمتهم الجامعة المصرية لمشاركتهم في النهوض بقسم اللغة العربية كل من اختصاصه ومنهم: براجشترايس.

مؤلف كتاب "التطور النحوي" و جويدي (علم اللغة العربية الجنوبية القديمة) و ليتمان"فقه اللغة"...

وقد كان هؤلاء المستشرقين على دراية بمناهج البحث العلمي، خاصة مجال الفيلولوجيا، والمناهج التاريخية المقارنة. ومن نتائج هذا الانفتاح العربي على الثقافة اللغوية الغربية الاستشراقية اهتمام الأوساط العربية بالدراسات اللغوية الجديدة وأصبح ينظر إلى مباحث فقه اللغة كمقابل للفيلولوجيا باعتبار من الجوانب الخطيرة الجديدة التي تكون أحد الأصول العامة للدراسات الأدبية في هذا العصر الحديث.

**المحاولات الأولى في التأليف في علم اللغة:**

- **محاولة علي عبد الواحد وافي:علم اللغة**

يقر بخلو القسم العربي بكلية الآداب بالجامعة المصرية (القاهرة) من المهتمين بالدراسات اللغوية الحديثة.

وأن أول مؤلف عربي في علم اللغة ظهر على يد علي عبد الواحد وافي، وهو أستاذ فب الفلسفة بدار العلوم، وكما أنه يهتم بعلم الاجتماع أساسا. ومؤلف في علم اللغة صدر لأول مرة سنة 1941م، ومن مؤلفاته في مجالات عدة منها:

- الدراسات اللغوية.
- علم النفس الاجتماع (أنثروبولوجيا) فيلولوجيا اللغات السامية وفي مجالات أخرى فلسفية طبيعيات –علوم التربية...

ويؤرخ لكتاب "علم اللغة" عبد الواحد وافي، بفترة ما بين نهاية القرن 19 وبداية القرن 20 الميلاديين.

والناظر في المادة العلمية الصادرة باللغة الفرنسية لوافي تبرز توجهها أو اتجاها معينا في الدرس اللغوي العربي هو المنهج التاريخي المتأثر بعلم الاجتماع لإيميل دوركايم.

ومما لا شك فيه أن تكوين وافي وتخصصه في علم الاجتماع، وتأثره بالمدرسة الفرنسية له دور كبير في هذا الاختيار النظري للمصادر اللغوية التي نهل منها في تأليف كتابه (علم اللغة) وإن لغياب المصادر الأساسية في اللسانيات انعكس على محتوى كتابه لذلك لا نكاد نعثر فيه على المفاهيم الأساسية للتحليل اللغوي الحديث.

و حاصل القول، فإن كتاب (علم اللغة) لوافي يخلو من تقنيات التحليل اللساني الضرورية لكل مبتدئ في هذا العلم.

ولما كانت مصادر كتابه قديمة قد تجاوزه البحث اللغوي الحديث تنظيراومنهجا فإنه لا يورد بعض التحديات المنهجية التي تغدو أساسيته منذ نهاية العشرينات من القرن الماضي مع مدرسة براغ كالتمييز في علم الأصوات و الفنولوجيا (التشكل الصوتي) مكتفيا بعرض التصورات الصوتية التي باتت قديمة عند كل من سويت وغيره دون الحديث عن الفنولوجيا الجديدة التي ظهرت منذ 1926. في حلقة براغ التي أحدثت تجديدات نظرية ومنهجية هامة في الدرس اللغوي المعاصر.

- **مسار اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة**

اللسانيات علم وافد على ساحة الثقافة العربية وذلك بظهور كتاب علم اللغة لوافي عبد الواحد وقد واكب هذا الظهور مجموعة من الكتب اللغوية التي أنتجت في الثقافة العربية وهي تتفاوت من حيث قيمتها العلمية والمنهجية وتختلف من حيث منظورها للقضايا اللغوية المعروضة بصفة عامة واللغة العربية بصفة خاصة بعد صدور كتاب وافي حيث صدر سنة 1947 كتاب لإبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية)، وهو أول كتاب باللغة العربية يعرض الموضوع من وجهة نظر العلم الحديث ومنذ هذه الفترة الزمنية بدأت الكتابة اللسانية العربية الحديثة وهي متفاوتة من قيمتها المنهجية ومستواها العلمي بالموازاة وصل إليه البحث اللساني العام وبلغت الكتابات اللسانية العربية التي تعرف باللسانيات مستوى جيدا وتعكس الكتابات اللسانية العربية مهما اختلفت مشاريعها الفكرية وطبيعتها النظرية وتنوعت درجاتها العلمية والمعرفية والاهتمام البالغ الذي توليها الثقافة العربية الحديثة.

بيدا أن تلتقي الثقافة العربية للسانيات والتعامل معها بوصفها منهجا علميا في دراسة اللغة لم يتم دفعة واحدة، بل مرّ ذلك بمراحل، ولم يقتصر هذا على اللغويين، لقد أسهم بعض المهتمين بالأدب والنقد في إرساء الفكر اللساني الحديث وترسيخ مناهجه في الثقافة العربية.

و قد مرّ الدرس اللساني العربي الحديث بمراحل حتى صار على هذه الصورة التي تبين مدى تطوره نظريا ومنهجيا وتطبيقيا.

ومر هذا كله إلى جملة من العوامل منها:

- إرسال البعثات الطلابية إلى الجامعات الغربية والقيام بدراسات وأطروحات جامعية.
- ترجمة للنتائج (كتب ومقالات).
- كما قد تم تدريس علم اللغة في جامعات عربية باسم فقه اللغة.
- إنشاء تخصصات مستقلة في اللسانيات العامة.